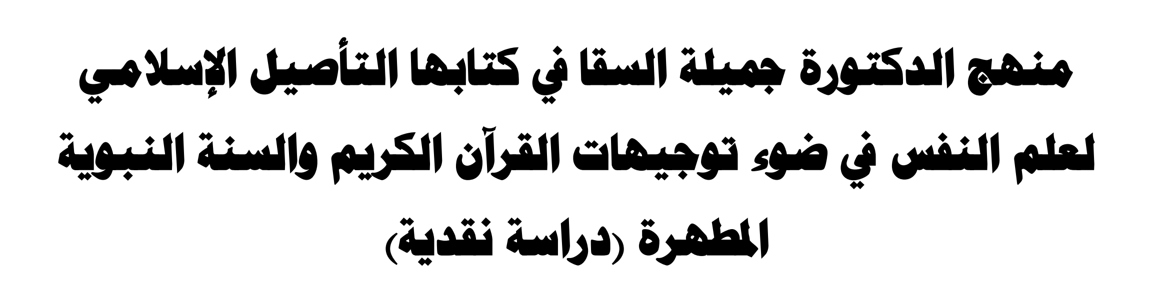


منهج الدكتورة جميلة السقا في كتابها التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة (دراسة نقدية)

إسلام حامد شاكر

كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة



مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه والتابعين... لقد اعتنى الإسلام بالإنسان اعتناءً كلياً وشاملاً، وجعل سعادته في الدارين هدفاً له من خلال قيامه بالغرض الذي من أجله خلق الإنسان، ألا وهو عبادة الله تعالى، فالله فضّله على كثير من خلقه، ومن هنا كانت العناية الإلهية به متكاملة.ولما كان علم النفس أيضاً يهتم بالإنسان اهتماماً شاملاً ويجعل من سعادته وصحته وايجابيات حياته هدفاً أصيلاً له كان هذا التقاطع المهم بين أهداف الإسلام وأهداف علم النفس. فالإسلام جاء لتقويم النفس البشرية التي تردت إلى الانحطاط فقوّمها وعدّلها، ولعل بروز علم النفس الغربي الحديث نتيجة لتردي الوضع النفسي لدى الغربيين أيما تردي، ولغرض انتشالهم من هذا التردي ظهر فلاسفة وعلماء نفسانيون درسوا وانكبوّا على دراسة هذه الحوادث وتوسعوا بها ووضعوا لها حلولاً. ومن هنا نشأة الدعوة إلى علم نفس إسلامي، فمنذ أن نشر محمد عثمان نجاتي كتابه عن (الإدراك الحسي) عند ابن سينا عام ١٩٤٩م، ثم نشر بعده عبد الكريم العثمان كتابه عن (الدراسات النفسية عند المسلمين) عام ١٩٦٢م والدعوة إلى تأصيل علم النفس إسلامياً يتردد صداها في أروقة البحث العلمي. وفي السنوات الأخيرة زادت العناية بهذا الموضوع وتطورت الدعوة إلى حركة واسعة صار لها أدبياتها الخاصة بها، وأصبح التأصيل مقرراً يدرسه طلاب علم النفس في أكثر من جامعة، ونشأت جمعيات وروابط علمية ومؤسسات تعنى بالتأصيل، أما البحوث والكتب التي نشرت فهي كثيرة ولاسيما عن علم النفس. كما نشرت بحوث وأطروحات ومقالات باللغة العربية عن تأصيل العلوم السلوكية (علم النفس وعلم الإنسان وعلم الاجتماع) فيما بين عامي (١٤٠٠ – ١٤٠٦هـ)، بلغت ٣٠٢ عنواناً، منها ٦٤ عنواناً خاصاً بعلم النفس.هذه الحركة الواسعة تحتاج بين الفيّنة والأخرى إلى دراسة نقدية تقوّم مسارها وترسم معالم مستقبلها. والدراسات النقدية المنشورة عنها (لا زالت) قليلة، ورغم البحث الدؤوب لم يستطع الباحث الحصول على دراسة نقدية حديثة لحركة التأصيل الإسلامي، ولم يستطع أن يلم شتات هذا العلم، ومن العسير التناول النقدي الشامل لجميع جوانبها في بحث موجز كهذا، فحركة التأصيل الإسلامي لعلم النفس تشعبت مع تشعب فروع علم النفس، وإن الذين تقدموا بها لتمثيل هذا العلم قد تكون اطروحاتهم توصف بأنها مجرّد ردود أفعالٍ مستعجلة أكثر منها بدائل حقيقية.ومن هذا المنطلق فقد افردت بحثي هذا لنقد منهج الدكتورة جميلة سقا في كتابها الذي أسمته **(التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة)**، وودت في هذه العجالة أن اقف على بعض الملاحظات في هذا الكتاب، وقد خرجت ببعض الانتقادات حول ما جاء في كتابها، بعضها إيجابية وأخرى سلبية، من أختٍ لها لعلها تتقبلها وتعيد النظر فيها لكي ينتفع بها طلبة العلم خصوصاً والمسلمون عموماً. وقد تضمن البحث ثلاثة مباحث، الأول: حول المؤلفة ومنهجيتها، والثاني: عن منهجية الكتاب، والثالث: في النقد والتحليل. ويأتي هذا البحث ضمن دراستنا في مرحلة الدكتوراه كجزء من مادة **(التأصيل الإسلامي للمعرفة)** في كلية الإمام الأعظم (رحمه الله)، للعام الدراسي ٢٠٢٠-٢٠٢١م، والله ولي التوفيق.

المبحث الأول حول المؤلفة ومنهجيتها

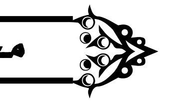
أولاً: التعريف بالمؤلفة :

المؤلفة: الدكتورة جميلة عبد الله حسن سقا، عضو هيئة تدريس، جامعة أم القرى، في المملكة العربية السعودية – مكة، متقاعدة، مستشارة أسرية نفسية تربوية، مدربة تطوير الذات، حاصلة على جائزة التفوق العلمي[١]. كما أنها مؤسسة وعضو في منتدى رواق بكة النسائي (١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م) وهو منتدى أدبي ثقافي اجتماعي، انبثقت فكرة تأسيس الرواق لتعزيز تبادل اللقاءات الفكرية بين المثقفات من سيدات المجتمع بهدف استثمار أوقاتهن والإفادة من أفكارهن بما يعود على المجتمع بخير. كما أنها شاركت بفعاليات مختلفة في حملة مكافحة الإرهاب في منطقة مكة المكرمة.لها مقالة بعنوان **(مكة حبنا الساكن في الوجدان)** نشرت على موقع الألوكة (٢٠٠٩م-١٤٣٠هـ)[٢]

ثانياً: منهجية المؤلفة في كتابها التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية:هذا الكتاب قدمته الدكتورة جميلة سقا كأطروحة ضمن متطلبات نيلها لشهادة الدكتوراه قسم الأصول الإسلامية للتربية، في جامعة أم القرى بمكة، نوقشت بتاريخ (١٤٢٢هـ -٢٠٠١م)، تناولت موضوع **(التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة)** وذلك انطلاقاً من سؤال مركب ينص على الآتي: ما واقع؛ وخطوات، وطبيعة ومعالم التأصيل الإسلامي لعلم النفس؟. وقد استخدمت الباحثة في دراستها هذه المنهج الوصفي، والمنهج الأصولي (الاستنباطي)، وقد حددت خطوات لتطبيق هذين المنهجين وهي كما يلي:

١- الوقوف على دراسات المتخصصين في مجال علم النفس ؛ للتعرف على واقع علم النفس .

٢- الرجوع إلى الجهود التأصيلية السابقة التي قام بها العاملون في هذا التخصص.




٣- تحديد المصطلحات والمفاهيم والطرق والوسائل التي أشار إليها العاملون في عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس على أنها تتعارض مع المنطلقات أو الأسس الإسلامية في دراسة النفس الإنسانية.

٤- اتباع خطوات أو مراحل الاستنباط الأصولي لمعرفة طبيعة النفس الإنسانية في توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية، والتي تتمثل في:

أ- البحث عن النص المتعلق بموضوع البحث من القرآن أولاً ثم السنة ثانياً، أي تقديم القرآن على السنة.

ب- القراءة المنظمة والمتأنية لكتب التفسير، وكتب السنن الصحيحة.

ت- حصر الموضوعات التي استخدمت فيها الألفاظ والتعبيرات القرآنية والنبوية، وترتيبها من حيث تاريخها ؛ لمعرفة الناسخ والمنسوخ، المطلق والمقيد، العام والخاص، الأمر والنهي، الظاهر والمؤول ...

ث- فهم السنة الشريفة في ضوء نصوص القرآن الكريم [٣]. وقد هدفت دراستها في محاولة للتأصيل الإسلامي لعلم النفس من خلال معالمه الرئيسة في ضوء توجيهات القران الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقامت الباحثة بصياغة الأهداف التالية: توضيح مفهوم التأصيل الإسلامي لعلم النفس، ومبرراته، وواقع الاتجاهات التي تدور حول عملية التأصيل، أيضاً وضع خطوات منهجية التأصيل الإسلامي لعلم النفس.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف وضعت الباحثة عدة تساؤلات منها:

١- ما واقع التأصيل الإسلامي لعلم النفس، وما مبرراته في ضوء الاتجاهات المعاصرة التي تدور حوله ؟.

٢- ما خطوات منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس ؟.

٣- ما طبيعة وخصائص النفس الإنسانية في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ؟.

٤- ما المعالم الرئيسية لعلم النفس في صيغته المؤصلة إسلامياً ؟.وقد توصلت الباحثة في دراستها إلى مجموعة من النتائج كان من أهمها؛

الأولى: أن علم النفس عند الغرب يركز على الماديات؛ بينما جاء الإسلام للتأكيد على خصائص النفس الإنسانية ممثلة في (النفس، والجسم، والروح).

الثانية: توصلت الباحثة في دراستها إلى كون أن حركة التأصيل الإسلامي لعلم النفس هي إحدى مظاهر الصحوة الإسلامية التي شهدتها الدول الإسلامية؛

الثالثة: كما رأت أن معايير التأصيل الاسلامي لعلم النفس تتركز على ثلاث نقاط هي: أسس ومبادئ الإسلام، ووحدة مجال المعرفة المرتبطة بالوحي والعقل، وكذلك في ضوء مصدري التشريع (القرآن والسنة).

الرابعة: أكدت في توصيتها على ضرورة تعميق مفهوم طبيعة النفس الإنسانية في ضوء توجيهات الإسلام، حيث اعتبرت أن تأصيل مفهوم علم النفس الإسلامي وفق خطوات منهجية يعتبر عبادة في حد ذاته.

الخامسة: كما وأكدت الباحثة على وظائف النفس والجسم لا يمكن أن تمارس إلَّا بوجود المكون الثالث للطبيعة الإنسانية وهو الروح.

المبحث الثاني منهجيتها في كتابها (التأصيل الإسلامي لعلم النفس)

بعد الاطلاع على ما قرأتُ من كتاب التأصيل الإسلامي لعلم النفس للدكتورة جميلة سقا توصلت إلى أن المؤلفة قد قسمت الكتاب إلى سبعة فصول، وهي على النحو الآتي: **الفصل الأول:** المدخل للدراسة والتمهيد، وقد تناولت فيه مشكلة الدراسة وأهميتها والأسئلة حولها والمنهجية، كذلك حدود الدراسة، والمصطلحات، والدراسات السابقة التي قسمتها إلى دراسات الإطار الأول والإطار الثاني، والدراسات السابقة ومدى علاقتها بالدراسة الحالية.وأما **الفصل الثاني** فكان بعنوان: اتجاهات وخطوات منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس، وقد قسمته إلى...

أولاً: الاتجاهات التي دارت حول عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس.ثانياً: خطوات منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.ففي هذا الفصل عرضت الباحثة الاتجاهات التي دارت حول عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس والتي تمثلت فيما بين رافض ومحايد وموافق على العملية. هذه الاتجاهات التي تم عرضها وضحّت المبررات التي ساقها أصحابها والتي جعلت كل فريق منهم يتخذ واحداً من المواقف الثلاثة التي تم ذكرها في هذا الفصل.وبعد عرض الاتجاهات أشارت الباحثة إلى اختيارها لواحد من الاتجاهات الثلاث وتبنته في دراستها وهو: اتجاه الوسط الصحيح.وبعد تحديد اتجاه الدراسة في موضوع التأصيل الإسلامي لعلم النفس حددت الباحثة خطوات سارت عليها في عملية تأصيلها لعلم النفس في بعض من معالمه الرئيسة وفق توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقد عرضت تلك الخطوات في شكل توضيحي، ثم شرحت بشكل مفصل لكل خطوة من تلك الخطوات. وفي نهاية الفصل استخلصت سمات ذكرت أنها لا بد أن تتوافر في القائمين على عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس، هذه السمات استمدت من توجيهات القرآن الكريم

والسنة النبوية للنفس الإنسانية [٤].**الفصل الثالث** : طبيعة وخصائص النفس الإنسانية في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقد احتوى هذا الفصل على عرض لثلاثة مواضيع توضح طبيعة النفس الإنسانية، وهي:

١- النفس .

٢- الجسم .

٣- الروح . ثم بدأت الباحثة بذكر النفس أولاً لكون الدراسات النفسية في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية تبحث:

أولاً: عن طبيعة وما هية هذه النفس والسلوك الصادر عنها. ثانياً: الجسم بمكوناته حيث لا يصدر السلوك الإنساني عن النفس إلَّا بوجود الوعاء أو ما يسمى بالجسم، المكون من مجموعة أعضاء، وهذه الاعضاء تكون هامدة بلا حراك بدون المكون الثالث لها وهي الروح المسئولة عن حركة أعضاء الجسم وأداؤه لوظائفه وفق التكاليف الربانية. وللوصول إلى فهم تام وإحاطة أكثر لطبيعة النفس الإنسانية ومكوناتها، قامت الباحثة بعرض الأطوار ومراحل خلق الإنسان كما ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة [٥].أما عنوان **الفصل الرابع** كان: أطوار خلق الإنسان في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. فقد عرضت الباحثة في هذا الفصل طوري خلق الإنسان البنائيين – الإنشائيين – وقد اقتصرت الباحثة في هذا الفصل عليها ؛ لأنهما الطورين اللذين يشكلان طبيعة النفس الإنسانية في مراحل خلقها وتخلقها، فقد احتوى هذا الفصل على الآتي:

١- التعريف بمفهوم كلمة طور.

٢- تحديد الطورين البنائيين، اللذين يشكلان طبيعة النفس الإنسانية، في ضوء

توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية، وهما:

أ-الطور الأول: أصل الخلق.

ب- الطور الثاني: المرحلة الجنينية.

٣- أصل الخلق، اشتمل على:

أ-خلق آدم عليه السلام.

ب- خلق حواء.

ت- خلق ذرية آدم عليه السلام.

٤- المرحلة الجنينية، واشتملت على:

أ- مرحلة الصلب والترائب.

ب- مرحلة المضغة.

ت- مرحلة النطفة.

ث- مرحلة العظام.

ج- مرحلة العلقة.

ح- مرحلة الخلق الاخر. وبعد أن تكتمل مراحل خلق الإنسان، تأتي مرحلة خروجه إلى الحياة الدنيا، وتبدأ مطالبه وحاجاته الجسمية، والعقلية، والانفعالية، والاجتماعية. هذه المطالب والحاجات تُحَقق وتُشْبَع وفق ضوابط وتوجيهات وضَعها رب العزة للإنسان مصاحبة بتوجيهات نبوية كريمة [٦]. **الفصل الخامس:** وكان عنوانه: الدوافع في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وتناول هذا الفصل موضوع الدوافع التي تدفع السلوك الإنساني وتكمن خلفه حيث تم استعراض الآتي:

١- تعريف الدافع والمصطلحات المرحلية التي تدور حوله.

٢- سمات الدوافع.

٣- أقسام الدوافع.

٤- دراسة لبعض المواقع في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية.

وما بين الحاح هذه المواقع على الإنسان وطرق إشباعه لها، أو وسائل تحقيقها تظهر مظاهر سلوكية على السلوك الإنساني، هذه المظاهر تصاحب الدوافع كما تعتبر طريقة من طرق التعبير عنها في حدتها أو هدوئها، ويختلف التعبير عنها من فرد لآخر ومن أمة



لأخرى، تسمى هذه المظاهر بالانفعالات. **والفصل السادس:** تضمن الانفعالات في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وشمل هذا الفصل:تعريف الانفعال، وأسبابه، وأثره على السلوك الإنساني، والتأثيرات الإيجابية والسلبية للانفعالات، كذلك تناول دراسة لبعض الانفعالات في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وشمل:

أولاً: انفعال الغيرة.

ثانياً: انفعال الغضب.

ثالثاً: انفعال الحسد.

رابعاً: انفعال الخوف.

خامساً: انفعال الحب.

سادساً: انفعال الحزن.

سابعاً: الفعل الفرح والسرور.

فقد استطاعت الباحثة أن تستخلص طريقة تعامل القرآن الكريم، والسنة النبوية، مع هذه الانفعالات والكيفية التي تستثار بها للاستفادة منها، مع حسن تهذيبها فيما يرضي الله جل وعلا، ورسوله ﷺ ، باعتدال وتوازن وشمولية[٧]. أما **الفصل السابع** فقد تناول ملخص ونتائج الدراسة والتوصيات وآليات العمل، وفهرس المصادر والمراجع.

وقد ارفقت الكتاب بأشكال وصور توضيحية لبعض الموضوعات.

المبحث الثاني النقد والتحليل لما ورد في كتاب الدكتورة جميلة سقا الموسوم بـ (التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية)

بعد الاطلاع على ما قرأت في هذا الكتاب خرجت ببعض الإيجابيات والسلبيات حول مندرجاته، وهي كما يلي:

أولاً: الإيجابيات.

١- فيما يبدو أن الباحثة من المؤيدين للاتجاه الثالث من بين الاتجاهات الثلاثة وهي:

أ- الاتجاه الرافض لعملية التأصيل.

ب- الاتجاه التوفيقي: أي التوفيق بين الدراسات النفسية الغربية وبين النظرة الإسلامية للنفس الإنسانية.

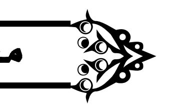
ت- الاتجاه الثالث: وهو الاتجاه الوسط بين الاتجاهين السابقين، والتي اعتبرته الباحثة هو الاتجاه الصحيح، وأصحاب هذا الاتجاه هم الذين استفادوا من الدراسات النفسية الغربية، لكنَّ هذه الاستفادة جاءت موزونة بثوابت الإسلام وأسسه الراسخة، منتهجين به ما جاء في الكتاب العزيز والسنة النبوية، والباحثة أصّلت الثوابت الإسلامية في كل ما يتعلق بالدوافع الثلاثة السابقة، وقد أصابت بذلك، وهذا الرأي هو الاسمى إذا صدقت النيات، وإلَّا قد يكون كلاماً منمقاً لغرض إيقاع الناس في متاهاته.

٢- ذكرت الباحثة في صفحة (١٢) أن علم النفس الغربي يصدر من علماء نفس يهود، وإني أرى في ضوء هذه الفقرة أن علم النفس هو من ابتداع اليهود فكراً وتوجيهاً وقد اصابت بذلك.

٣- وذكرت أن هناك فئة من المتخصصين النفسيين المسلمين واعتبرتهم فئة المفتنين بعلم النفس الغربي، وهذا الافتتان جعلهم يُقبلون على كتب نظريات وتطبيقات علم النفس الغربي بكل تياراته خاصة في مسألة وصف الرسول ﷺ لهم في حديث (جحر الضب) المذكور ص (٥٤) وقد ذكرت الباحثة الاسباب التي تسوقها هذه الفئة لتبرير موقفهم، وكانت هذه الأسباب والتبريرات صحيحة.

٤- طرحت الباحثة موضوع خلق الانسان وأن الله اكرمه بأن (خلقه بيده) وهذا من أفضل التكريم، واستشهدت بآيات أكدت هذا الأمر فكان طرحها رائعاً، كما ردَّت على النظرية التطورية الداروينية بحديث النبي ﷺ: ((**يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك فيقولون لو استشفعنا...**)) إلى نهاية الحديث وهذا ردّ حاسم لرأي داروِن الذي يقول إن الانسان أصله قرد [٨].

٥- الطرح الجيد لمسألة خلق حواء من آدم (عليهما السلام) والحكمة من خلقها من نفس واحدة، وقد بيّنت الباحثة أنه لا فرق في أصل الخلقة والطبيعة إنما الفارق في الاستعداد والوظيفة التي هيأها الله عز وجل لأُمّنا حواء، وهذا هو الكلام الصائب والصحيح [٩].




٦- ذكرت الباحثة في نتائج كتابها نصاً يقول: (**إن المنهج الرباني والنبوي لهما طريقة خاصة متفردة عن باقي المناهج الموضوعة من قبل البشر، بل ويستعليان على سائر المناهج**) وقد ذكرت عدة نقاط توضح هذا التفرد – وذلك في صفحة (٣٥٣) – والباحثة هنا انصفت في هذه العبارة، إذن لماذا فصل علم النفس عن بقية العلوم الأخرى ؟ فهو مرتبط بها ارتباطاً كاملاً.

ثانياً : السلبيات.

١- ذكرت الباحثة في صفحة (١٥) أنه لا بد من اعاده كل العلوم إلى إطارها الإسلامي وهذا يعني أنها كانت موجودة ولكنها اضمحلت، وهي تدعو إلى عودتها، وبالمقابل ذكرت أنه لا بد من الاستفادة من الغرب بما حققوه من تقدم وسبق علمي، وظاهر الكلام أن الاسلام هو الأصل فكيف يكون الغرب لهم الأسبقية !؟.

٢- ذكرت الباحثة صفحة (٨٩) أن الله بعث الرسل والأنبياء (عليهم السلام) يبلغون رسالته للناس ويرشدونهم إلى ما تقع منه حواسهم من أخطاء، وينبهونهم إلى أن تكامل المعرفة لا يحدث إلّا باتفاق العقل – أدواته ووسائله الحسية المعروفة – بالوحي الموحى به إلى الرسل والأنبياء الذي يبلغوا به الناس، وهذا لا يصح بحسب رأيي المتواضع لأن العقل إعماله يكون في مجالٍ لا روح فيه، وأما الغرض من بعث الأنبياء والرسل (عليهم السلام) فهو لتقويم الذات البشرية وارشادها.

٣- ذكرت الباحثة في صفحة (٩٠) أن الحقيقة التي يصل إليها علماء الغرب في دراستهم للنفس الإنسانية خلوها من الخطأ في الملاحظة والتفسير والاستنتاج... وهذا الكلام غير مسلّم به؛ لأن الخطأ لا محال واقع من النفس البشرية لحديث النبي ﷺ: ((**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**))[١٠].

٤- ذكرت الباحثة المراحل التكوينية الجينية للإنسان لاسيما مراحل الصلب والترائب ومرحلة النطفة والعلقة والمضغة ومرحلة تكوين العظام ومرحلة الخلق الآخر وذلك في صفحة (١٨٩-١٩٠)، وقد علقت عليه بقولها (يؤكد على اطوار النشأة وتتابعها في هذا النظام المطرد الذي يشهد بوجود النشئ وقدرته وايداعه في تدبيره للنشأة التي تسير على وتيرة واحدة لا انحراف فيها ولا زلل). وفي رأيي أن هذا المبحث لا أهمية له بالنسبة للعوامل النفسية التي تطرأ على الإنسان لا سيما إذا كان جاهلاً، وأكثر الاضطرابات تكون في جهلة الناس.

٥- طول السرد لموضوع دافع الجوع في صفحة (٢٣٠)، فقد أطالت كثيراً بطرح هذا الموضوع من حيث الحاجة إلى الطعام، ونقص المواد الغذائية، وما يحدث من تقلصات في المعدة... إلى غير ذلك، إطالةً قد تبدو مملة، فالجوع معروفٌ بكوارثه، ولا داعي إلى هذا التفصيل.

٦- ذكرت الباحثة في صفحة (٢٤٦) مراحل نمو الطفل وحددت لنوم الطفل ساعات، وهذه الساعات اعتقد أنها تخمينية، نعم إنها بُنيت على تتبعٍ ورقابة ولكنها تتفاوت، لاسيما المرحلة الرابعة والخامسة والسادسة من عمر الطفل، ورأيي لو أنها قالت تقريباً أو بحدود ذلك لكن افضل.

٧- كما ذكرت الباحثة صفحة (٢٦٤) دافع التملك وقالت بأنه غريزة فطرية لدى الإنسان، واقتصرت على (الطعام والشراب والاولاد) وذكرت: بأن الانسان يريد حيازة تملك ما يسدّ به هذه الحاجات ويشبعها، عن طريق مشبعات هذه الحاجات من متاع ومال وذهب وفضة ونساء وبنين... وبرأيي لو تضاف إلى هذه الثلاثة (الزينة، والتسلط، والسطوة، والعظمة، والتمكين)، فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿ **كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ** ﴾[١١] ، وذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية: يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وشر وبطر وطغيان، إذا رأى نفسه قد استغنى وكثُر ماله. ثم تَهدده وتَوعَّدهُ ووعظه فقال: ﴿ **إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ** ﴾ أي: إلى اللَّه المصير والمرجع، وسيحاسبك على مالك: من أين جمعته ؟ وفيم صرفته ؟ [١٢].

٨- لقد ذكرت الباحثة أن أصحاب الاتجاه الثالث – صفحة (٣٤٤) – اعتمدوا في تأصيل علم النفس على حديث النبي ﷺ كما في سنن ابن ماجة: ((**الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا**)) [١٣]. والذي أراه أن هذا الحديث لا يتعلق بالثوابت الإسلامية التي جاء بها الكتاب والسنة النبوية، أنما هو يتعلق بالأمور الدنيوية التي تنفع المسلم من استكشاف جديد في وسائل النقل والحروب والصناعات وعلوم الطب والهندسة والصناعات الأخرى، كما أنها تناولت الاتجاهات الثلاثة ولكنها لم تنتقد أياً منها إنما ذكرتها فقط ورجحت إحداها.

٩- ذكرت الباحثة في صفحة (٣٤٦) أنها خرجت في نهاية هذا الدراسة بعلم نفس يقوم على أسس إسلامية ثابتة مقرونة بنظرة حديثة مواكبة للتطور العلمي، وتعليقاً على ذلك أقول ما علاقة التطور العلمي في تهذيب السلوك والنفس الإنسانية، وبرأيي لو قالت العلوم الحديثة أو الدراسات الحديثة لكن أفضل.

١٠- كما ذكرت الباحثة في ذات الصفحة بأنها خرجت بواقعٍ ينص على أن هناك خطوات إجرائية تأصيلية لعلم النفس لا يمكن إغفالها، فهي في جانبين، **الأول:**

منهجية التأصيل الإسلامي لعلم النفس القائمة على أسس ومبادئ الشريعة، **والثاني:** الدراسة الواعية المُمَيِّزة للغث من السمين لعلم النفس الغربي. وأقول إن الباحثة لم تعرض في كتابها الغث من علم النفس الغربي، ولم توجه أي انتقاد له، لأجل أن يَحذره المسلمون، إنما ذكرت فقط التأصيل الإسلامي لما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

كما أن هناك بعض الانتقادات حول الكتاب بصورة عامة لابد من ذكرها:

١- الباحثة تحاول تأصيل كل ما يتعلق بالنفس والتي جعلتها في ثلاثة، وهي:

أ – الدوافع الناتجة عن التكوين المادي للإنسان.

ب – الدوافع الناتجة عن التكوين الروحي للإنسان.

ت – الدوافع الناتجة عن امتزاج التكوين المادي والتكوين الروحي للإنسان

وقد أصلت لهذه الدوافع الثلاثة من الكتاب والسنة نعم كان طرحاً جيداً، لكن هذا التأصيل هو قديم فقد ذكره العلماء كأبي حامد الغزالي في إحياء علوم الدين وابن القيم وابن الجوزي وغيرهم ولم تأتِ بشيء جديد...

٢- كما أنها اعتمدت على مصادر قديمة وحديثة في هذا التأصيل ولكنها لم تجر مقارنة بينها وبين علم النفس الغربي، لأجل أن يأخذ بها المسلم أو يتجنبها...

٣- لم تعمد إلى تخريج الأحاديث النبوية وتمييز الصحيح من السقيم، لاسيما هي في باب التأصيل الإسلامي لعلم النفس.

٤- لم تذكر أجزاء علم النفس الغربي الذي يتناقض مع الثوابت الإسلامية في هذا المجال ولم توجه أي انتقاد يذكر أو تحليل كي يفهمه المسلم ويتجنبه إذا كان فيه تناقض.

٥- دائماً تذكر عبارة قالت أو تذكر (الباحثة) وهذا غير صحيح ولا بأس من استخدام عبارة أقول.

٦- في الكتاب أخطاء لغوية وإملائية يجب مراجعتها وتصحيحها وقد نوهنا عنها اثناء المطالعة ووضعنا اشارات لها وهي في عدة صفحات.

الخاتمة

إن حركة التأصيل الإسلامي لعلم النفس على الرغم من الجهود المبذولة إلّا أنها لا زالت في مراحلها الأولى، والمعنيون بالتأصيل الإسلامي ينبغي لهم تدارك هذا النقص فيكتبوا مداخل وكتباً تعنى بطبيعة التأصيل ومبادئه مع مسائل علم النفس العام، وتكون منهجاً منسقاً لمراحل دراسية يدرسها الطلاب من ضمن ما يدرسون فصلاً عن المنهجية الغربية والنقد الموجه إليها، كما يدرسون التصور الإسلامي لنظرية المعرفة وأسسها. إنه بسبب خلو كتب علم النفس من نظرية المعرفة الإسلامية على الرغم من عناية عدد من الباحثين بها لم تستقر بعد في المجال الإدراكي المعرفي لكثير من دارسي علم النفس لكي يستطيعوا تقويم المعارف وتقديمها من خلالها.كما يلاحظ أن الربط بين النصوص الشرعية من آيات وأحاديث ومعطيات علم النفس الحديث، لازال يعاني من نقص ذريع، ومعالجة هذه المشكلة تكون باستكمال المعرفة الشرعية والقدرة على التمييز بين الحقيقة والفرضيات العلمية التي لم تثبت بعد، ويكون ذلك أولاً بإيجاد منهج من العلم الشرعي يفي بحاجة دارسي علم النفس سواء من حيث الأحكام الفقهية أو من حيث ضوابط النظر في النصوص الشرعية. والثاني هو إيجاد كتب تفصل بين الحقيقة العلمية والتصورات الفلسفية والفرضيات التي لم تثبت بعد أو التي ثبت خطؤها، فلا ينساق الباحث المسلم خلف فرضية خاطئة فيفسر بها نصوص الشرع، أو يرفض حقيقة علمية ظناً منه أنها تتعارض مع الشريعة.وفي ختام بحثي هذا توصلت إلى مجموعة من النتائج تتمثل في:

١- أن كتاب (التأصيل الإسلامي لعلم النفس) للدكتورة جميلة سقا يعد قيمة علمية جيدة، لا يمكن أن يستغنى به عن القراءة في كتب ومراجع مناهج البحث وتحليل المحتوى.

٢- في هذا الكتاب تناولت الدكتورة جميلة سقا عدداً من القضايا والمفاهيم حول التأصيل الإسلامي لعلم النفس التي أرى أنه لا يصح لمن يشتغل بالتأصيل أن يجهلها.

٣- أن تأصيل علم النفس بل سائر العلوم يبدأ من نظرية المعرفة ذاتها، فما لم تكن صحيحة فلن يصح ما يبنى عليها من علوم ونظريات.

٤- أن ضوابط البحث العلمي النابعة من تصور إسلامي لا زالت في بداياتها، ومهمة المشتغلين بالتأصيل الإسلامي تحرير هذه الضوابط وتيسيرها للباحثين في المستقبل القريب.



٥- كما أن دراسة العلاقة بين الوحي والعلم، وطرق الجمع بين ما ثبت في القرآن والسنة ومعطيات علم النفس الحديث مسائل ضرورية لتحرير العقل المسلم من أسر التقليد وتأهيله للإبداع في علم النفس.

المصادر:

- القرآن الكريم

- التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية، د. جميلة عبدالله حسن سقا .
- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة،
- الجامع الكبير – سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م
- سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.
- مسند الإمام أحمد : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر:
- المصنف لابن أبي شيبة: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٠٩.
- شبكة الألوكة (https://www.alukah.net/culture/0/6392/#ixzz6hduLGZrT
- الصفحة الرسمية للدكتورة جميلة سقا

((https://www.facebook.com/profile.php?id=100013482245917، Twitter | (@Dr_jamelah))

هوامش البحث

---

(١) الصفحة الرسمية للدكتورة جميلة سقا (https://www.facebook.com/profile.php?id=100013482245917)، (@Dr_jamelah) | Twitter)

(٢) شبكة الألوكة (https://www.alukah.net/culture/0/6392/#ixzz6hduLGZrT)

(٣) ينظر: التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية، د. جميلة عبدالله حسن سقا ، ص ١٨- ١٩.

(٤) ينظر: التأصيل الإسلامي لعلم النفس، ص١٠٤- ١٠٥.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ، ١٨٦- ١٨٧.

(٦) ينظر: التأصيل الإسلامي لعلم النفس، ٢١٩.

(٧) ينظر: التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، ص ٣٣٨.

(٨) ينظر: التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية، د. جميلة عبدالله حسن سقا، ص٨٥.

(٩) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٩٥.

(١٠) أخرجه ابن أبي شيبة ، باب/ ما ذكر في سعة رحمة الله، كتاب/ ذكر رحمة الله، (ج٧/ص٦٢) برقم (٣٤٢١٦)، وأحمد في مسنده باب/ مسند انس ابن مالك، مسند المكثرين من الصحابة، (ج٢٠/ص٣٤٤) برقم (١٣٠٤٩)، وابن ماجه في سننه باب/ ذكر التوبة، كتاب/ الزهد، (ج٢/ص١٤٢٠)، برقم (٤٢٥١)، وحكم الألباني : حديث حسن.

(١١) سورة : العلق ، الآية : ٦.

(١٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، (ج٨/ ص٤٣٧) .

(١٣) أخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب الزهد/باب الحكمة) ,برقم ٤١٦٩ (ج٢/ ص١٣٩٥)؛ والترمذي في سننه (كتاب العلم /باب فضل الفقه على العبادة) برقم ٣٦٨٧ (ج٥/ ص٥١) , وقال: هذا حديث غريب, وقال الألباني: ضعيف جدا,